الأسرة العربية تجهل مسبباته وأعراضه وسبل علاجه:

١٥٠ مليون طفل يعانون الاكتئاب

القاهرة/14اكتوبر/ رمضان أبو اسماعيل:

أكـدت منظمة الصحة العالمية أن نسـبة الأطفال المصابين بمرض الإكتئاب في العالم تشـهد تزايد مطردا، حيث بلغ عدد المصابين قرابة 150 مليوناً أي قرابة 4 ٪ من أطفال العالم الذين يمثلون 43 ٪ من نسـبة السـكان، مشيرة إلي أن هذا المرض النفسي أصبح السبب الرئيسي للوفاة بين الراشدين في العالم ، ورغم ذلك كله، لا يزال تخصـص علم نفس الأطفال في الوطن العربي يهمل هذه الظاهرة، ولا يوليها أي اهتمام، ولا تزال الأسـرة تجهل المسببات والأعراض وسبل العلاج، وهذا بدوره دفع "وكالة الصحافة العربية" لطرح القضية علي مائدة النقاش.

القلق والخوف واليأس أكثر أعراض اكتئاب الأطفال

د. محمد شعلان مؤسس أقسام الطب النفسي بجامعة الأزهر يقول: تبدأ حياة الانسان بالمصاعب ويخلق الله تعالي له القدرة لمواجهة هذه المصاعب، وأول هذه المصاعب الآلام الناتجة عن الولادة، التي يطلق عليها علماء النفس صدمة الميلاد؛ تلك التي تترك آثارا تحدد الأوضاع المحيطة شكلها وحدتها، حيث أن هناك مراحل يمر بها الجنين خلال مرحلة الولادة؛ تبدأ بمرحلة ما قبل انقباض الرحم في بداية عملية الـولادة، ثم تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة ما بعد الانقباض وبداية خروج الجنين من رحم الأم، وهنا تبدأ المرحلة الثالثة وهي مرحلة دخول رأس الجنين فتحة الرحم الخارجية وبداية عهده بالحياة الدنيا.

ويضيف د. شعلان: أما المرحلة الرابعة والأخيرة فهي مرحلة خروج الجنين إلي الدنيا ببكاء ناتج عن تلك الصعوبات التي عاناها، والجديد في علم نفس الأطفال ما توصل إليه العلماء من القدرة علي ربط الأمراض النفسية، التي يصاب بها الفرد وتلك المراحل وكيف كان تكييف المحيطين بها، وهـذا الربط تم الاتفاق عليه ودراسته والتعرف عليه يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الجنين بمجرد خروجه من بطن أمه يمكن أن يصاب بالاكتئاب، وهذا أمر مسلم به.

ويؤكد أن الاكتئاب مرض نفسي خطير للغاية يصيب الآن نسبة كبيرة من الأطفال، وبالتالي لابد من البحث عن صيغة موحدة بشكل منهجي لوضع توصيف لهذا المرض، وكيفية تشخيصه والسبل العلاجية المناسبة، التي يمكن من خلالها محاربة هذا العارض المرضي، الذي يهدد أطفال اليوم الذين هم شباب الغد وأمله.

ويخلص د. شعلان إلي أن الدراسة التي قام بها د. جون بولبي عن تأثير الفقد والحرمان علي نفسية الأطفال توصلت إلي أمر غاية في الأهمية، وهـو أن فقد الطفل لـلأم لا يعني حاجته إلي مربية أو مرضعة فقط، بل أمر يستوجب من القائمين علي رعايته توفير وسيلة تعويضية لهذا الطفل ربما تكون عـروس ملفوف بفرو يوضع قريبا من الطفل كي يتلمسه ويتحسس هذا الفرو، فيحدث الإشباع النفسي من مجرد الملامسة، والفعل تم تجريب هذه الوسيلة ووجد أنها فعالة.

يـري د. أحـمد شـوقـي العقباوي أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر أن ظاهرة اكتئاب الأطفال من الأمور، التي تعاني قصورا بحثيا كبير في المنطقة العربية حتي نجد كل من يتحدث عن الطفل المكتئب يجعل من الدراسات الأجنبية مرجع له، وفي ذلك لبس كبير وبعيدا عن المسببات أو أعراض المرض وسبل العلاج، رافضا فكرة استيراد سبل العلاج لبعض الأمـراض خاصة النفسية منها من مجتمعات ذات ثقافة مغايرة لثقافتنا العربية الإسلامية.

ويشير د. العقباوي إلي أن الأطفال في الأمة العربية ككيان يختلف كثيرا عن تلك الكيان في البلدان الغربية، التي وضعت فيها هـذه النظريات وأجريت فيها هذه الأبحاث؛ حيث ينظر المجتمع العربي بتقاليده وتفسير فقهاء الشريعة لنصوص الشرع أن هذا الطفل ملكية خاصة للأسرة، فمن حق الوالد أن يضرب طفله وليس للجار حق التدخل لحماية هذا الطفل؛ وهذا ما لا نجده عند الغرب فالطفل من حقه أن يطلب البوليس كي يحميه من بطش والده، وكذلك من حق الجار أن يتدخل بطلب الشرطة حماية للطفل، الذي أعتاد والده توجيه الإساءة له.

ويخلص إلي أن البحث في ظاهرة الاكتئاب عند فئة الأطفال أمر يتطلب منا بعض الحيطة والفراسة، حيث الاهتمام بالإطار الثقافي ومعالجة القضية من خلال الإطار الإجتماعي المعاش، فما تتوصل إليه الدراسات الغربية ليس بالضرورة أن ينطبق علي أطفالنا، بل كثير من الظروف التي يعيشها الطفل الغربي لا توجد في المجتمع العربي، مشددا علي أن المجتمع العربي أكثر المجتمعات ظلما للطفل سواء من الناحية التعليمية أو السلوكية أو التربوية، حيث الإهمال والقهر الـذي يمارسه المجتمع ضد هؤلاء الأطفال.

ويذكر د. العقباوي أن الدراسات أكدت أن الإهمال الذي يتعرض له الإنسان في مرحلة الطفولة يتناسب طرديا وعدد الأمراض التي يتعرض لها في مراحل حياته المختلفة، فالأسرة التي تنجب عدد كبير من الأطفال تهمل غالبا في رعايتها لهم، مما يؤدي إلي إصابتهم بالأمراض العديدة، ومنها الأمراض مثل الإكتئاب❖

صدمة الولادة

يقول د. محمد رمضان أستاذ الطب النفسي بمستشفي الحسين الجامعي : يمر الطفل خلال مرحلة طفولته التي تمتد منذ الميلاد حتي سن 15 سنة تقريبا بمراحل نمو مختلفة في آثارها واحتياجاتها؛ فبعد أسبوعين من الولادة يتعرض الطفل لما يطلق عليه "صدمة الولادة" حيث نـجـده ثابت الـــوزن، بل ربما يتناقص ويـكـون في هـذه الفترة فـي حـالـة من الاحتياج الـمـسـتـمـر لـلأم، وهنا يـــكـــون الـمـطـلـوب مـن الأسـرة أو الوالدين ضـــرورة تحقيق مطلب الـتـلامـس الـجـسـدي مع الطفل في الفترة الأولي حتي يجتاز الطفل هذه المرحلة بسلام وأمان نفسي.

■ حماية الطفولة من أمراض العصر

ويضيف: لذلك كله، تتفق الدراسات الحديثة علي ضرورة ترك الأطفال بجانب أمهاتهم بعد الولادة مباشرة وضرورة العدول عن فكرة نقل الأطفال إلـي غـرف مستقلة، وذلـك لارتفاع حساسية الأطفال للتلامس الجسدي خلال الأيـام التالية للميلاد مباشرة، وخـلال مرحلة الرضاعة التي تعقب الولادة حتي عمر 24 شهرا، وتتميز هذه الفترة بتطوراتها السريعة والمتلاحقة حيث يبدأ الطفل في رفع رأسه منفردا في سن 3 شهور، ثم يجلس منفردا في السن "8-6" شهورا، وتأتي مرحلة الحبو عند سن "10-8" شهرا، وعندما يقترب سن الطفل من العام يبدأ في الوقوف دون مساعدة، وقبل سن السنة والنصف يبدأ في الاعتماد علي نفسه في المشي ومع نهاية المرحلة أي عند سن الثانية من عمره يبدأ في صعود السلم دون تبديل الأقدام.

أما نمو الطفل النفسي خلال هذه المرحلة، كما يري د. رمضان، يبدأ الطفل في شهره الثاني قـادرا علي تركيز بصره علي وجه آدمي خاصة العينين، وفي الشهر التالي يبدأ في الإعلان عن ابتسامة اجتماعية عندما يـري وجـه آدمـي، وفـي شهره الرابع يميز أمـه عـن غيرها ويبتسم لها كلما نظرت إليه، وبعد سبعة شهور من الميلاد يستطيع الطفل أن يميز الغرباء ويعلن عن خوفه الشديد منهم، وغير ذلك يكون غير طبيعيا وباكتمال الشهر التاسع يبدأ في فهم التعبيرات الإجتماعية كالغضب والفرح مثلا.

ويؤكد أنه مع بداية السنة الثانية، يصبح لدى الطفل القدرة علي التعبير عـن بـعـض الـشـعـور الـوجـدانـي كـالـفـرح والـغـيـرة والحب، وفي مـنـتـصـف السنة الثانية يصبح سريع الهيجان ومن طباعة أيضا أن يكون غير متعاون، حيث يصعب حمله واللعب معه، بـإكـتـمـال السنة الثانية يـسـتـعـيـد الطفل اتزانه ويعود إليه الهدوء وحب الناس ويبيت امر سهل حمله ويقبل علي اللعب مع الآخرين، أما النمو الكلامي يبدأ في شهر الطفل الثالث بانتاج إيقاعات متكررة، ثم يبدأ في التمتمة في خال الشهر السابع، وعند عشرة شهور ينطق أول كلمة، وهي "دادا" ويستخدمها للتعبير عن حاجته لأي شيء، وخـلال العام الثاني له يبدأ في نطق جملة تتكون من ثلاثة كلمات.

فرط الحماية

وعن الحاجات النفسية التي يحتاج إليها الطفل خـلال هـذه المرحلة، ويقول د. فاروق لطيف استاذ الطب النفسي بجامعة عين شمس: يحتاج الطفل في الشهر الأول إلي الأمان لإكسابه الثقة، وإن لم يوجد الأمان لأدي ذلك إلي إحداث خلل في النمو النفسي للطفل، ويطلق علي ذلك "نقطة التثبيت"، وهـي عبارة عن نقص في الأمان، وينتج عنه إتسام الطفل بعد ذلـك بالعنف والشك المستمر فيمن يحيطون به، وناكر لحاجته إلي الأمـان وسلوكياته في الغالب تتسم بالقسوة والعنف، وإن كـان فـرط الحماية والتدليل لهما آثار سلبية أيضا على النمو النفسي للطفل، حيث يؤدي التدليل إلي إتسامه بفرط الثقة والميل إلي الاستسهال في كل الأمور الحياتية، لذلك يجب أن يسعى الآباء خلال هذه الفترة إلى توفير قدر معتدل من الحماية والآمان للأطفال.

ويضيف: أما الطفل خلال السنة الثانية من عمره، فيحتاج إلي تقرب والديه منه وسعيهم الحثيث علي تعليمه السلوكيات الخاصة بالنظافة والإمساك، وعدم نجاح الأسرة يؤدي إلي اضطراب سلوكي يصاحبه عناد مستمر مع الأم وإمساك فسيولوجي مزمن، وخلال مرحلة الطفولة المبكرة، التي تمتد من سن عامين حتي ستة سنوات، يبدأ الطفل مرحلة جديدة من الانفعالات، تبدأ بالقدرة علي التحكم الإنفعالي حيث تبدو انفعالاته أكثر وضوحا ، ويبدأ نمو مفهوم الوظائف الأساسية كالوعي والانتباه والإدراك والكلام والوجدان والذاكرة، التي تتمثل خلال هذه الفترة في قدرة الطفل علي تخيل صورة الأم في حالة غيابها، وفي هذه الفترة يغلب علي تفكيره أسلوب التفكير السحري، وقدرته العقلية لا تصل إلى مستوى التجريد.

أمـا المخاطر الـتـي يتعرض لها الطفل خلال هذه المرحلة، كما يشير د. لطيف، فأهمها عملية تفضيل الأبناء الذكور علي الإنـاث، وهذا ما يؤدي إلى مشاكل في عملية النمو النفسي، وغالبا ما تصاب الفتاة بحالة من الإكتئاب المرضي علي اختلاف حدته حسب قدرتها علي الإستجابة لهذا التمييز بين الذكر والإنثي، وخلال هذه المرحلة من النمو تكون حاجة الأطفال ماسة إلي الأمان والاستقلالية حيث يسعي خلال هذه الفترة الطفل للإستحواز قدر المستطاع علي اهتمام الأب أو الأم من الجنس المقابل لإشباع الخوف الطبيعي المواكب لهذه المرحلة رغبة منه في إيجاد إشباع رغبة الأمان عند الأب أو الأم، وإن لم يجد هذا الأمان والاهتمام من الأسرة في الغالب يصاب بالأعراض الاكتئابية المختلفة❖

النوع المتخفي

وعـن مرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة، يقول د. يحيي الرخاوي استاذ الطب النفسي بكلية طب القصر العيني: بدأ الاهتمام عالميا بالعلاقة بين الإكتئاب والطفولة وبالتحديد في منتصف ستينات القرن المنصرم، حيث توصلت هذه الدراسات إلي أن نسبة المصابين من الأطفال بالاكتئاب تصل إلي ٪4 بعد الاتفاق علي أن الأطفال ربما يصابوا بالاكتئاب، فالمتخصصين في مجال الطب النفسي قطعوا شوطا كبيرا من عدم الاتفاق علي إمكانية إصابة الطفل من عدمه بالأمراض النفسية، وفي النهاية تم شبه إجماع علي أن الأطفال يمكن أن يصابوا بالاكتئاب، وإن كان اكتئاب الأطفال في الغالب، يكون من النوع المتخفي، والـذي يظهر في صـورة التبول اللا إرادي أو صعوبة التعلم وغير ذلك من المقومات الاكتئابية.

ويضيف: كانت هناك دراسات تري أن إصابة الطفل بالتبول اللا إرادي لا يعني أنه مصاب بالاكتئاب، ورغم أن العناد سمة من سمات المكتئب إلا أن ذلـك لا يعد دليل قاطع علي أن العنيد إنسان مكتئب، وهذا جعل الباحثين خلال الأربعين سنة الماضية يسعون للوقوف علي تعريف جامع مانع للاكتئاب عند الطفل، وفي سبيل ذلك حددوا وسائل من خلالها يمكن تشخيص الإكتئاب كالنظر في التاريخ النفسي، ومن خلال المقابلات والأسئلة، التي توجه للحالة، يحدد المختص النفسي الأعـراض، التي يعاني منها الطفل ومـدي إمكانية وصفه بالمريض النفسي أو المكتئب، أم أن الأمر لا يعدو كونه مجرد أعراض بسيطة في طريقها أن تصبح اكتئاب بمرور الوقت.

ويؤكد د. الرخاوي أنه معروف لدي كل المتخصصين في مجال الطب النفسي أن هناك أعـراضـا محددة للاكتئاب، أولها، الأعراض الوجدانية المتمثلة في المزاج المضطرب وفقدان الدافعية والشعور المستمر بالذنب والقلق، وثانيها، الأعـراض المؤقتة كضعف الـذاكـرة وصعوبة التفكير والتأخر فـي اتـخـاذ الـقـرارات ونقد الذات، وأخرها، الأعراض السلوكية والجسمانية وتتمثل فـي فقدان الشهية وصعوبات النوم ونقصان الـوزن والشعور المستمر بالإجهاد، والتأخر النفسي - حركي والهياج والأعراض الجسدية الأخري، وإن كانت بعض الدراسات الحديثة تري أن أكثر أعراض الإكتئاب ظهورا عند الأطفال القلق والخوف والإحساس باليأس إضطرابات النوم ومحاولات الانتحار خاصة مع الاقتراب من سن المراهقة وعدم الطاعة.

ويشدد أنه لوحظ أن الانحرافات السلوكية أكثر عند الذكور منها عند الإناث، أما الأسباب المؤدية للاكتئاب، والتي توصلت إليها الدراسات، تتلخص في العوامل الوراثية الجينية؛ فالأطفال أبناء الأم أو الأب المكتئبين يكونوا في الغالب أكثر عرضة للإصابة بالاكتئاب مـن غيرهم، إلـي جـانـب الحرمان والفقد، الذي ربما يتعرض له الطفل والتفرقة بين الـذكـور والإنـاث في إطار الأسـرة الواحدة وغير ذلك من الضغوط الحياتية المختلفة كفقدان الوالدين أو أحدهما أو التعرض لحادثة انتحار في الصغر والصراعات الأسرية بين الوالدين والصعوبات الحياتية اليومية كصعوبات التعلم، بالإضافة إلي التغيرات الجسمانية التي يمر بها الطفل خلال مراحل النمو المختلفة.

الإيذاء الجسدي

أما د. محمود عبد الرحمن حمودة أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر يري أن تعرض الأطفال للإيذاء بشتي صوره أهم أسباب إصابتهم بالاكتئاب، ذلـك الإيـذاء الـذي تنظر له الأسـرة العربية علي أنه حق لهم يمارسونه ضد الأبناء دون التعرف علي آثاره المدمرة، فالغالبة العظمي من العرب لا يعرفون بحق الآثار المدمرة للإيذاء، الذي يمارسونه ضد أبنائهم، سواء كان هذا الإيـذاء نفسي أو بدني أو جنسي، مؤكدا أن هذا الإيـذاء يؤدي في بعض الحالات إلي إصابة الطفل بالإعاقة النفسية، وهذا أدي إلي ربط الإكتئاب عند الأطفال خلال الأربعين عاما الماضية بالمعاملة❖

ويشير إلـي أنـه الآن ينظر إلي الإكتئاب علي أنـه نتيجة طبيعية للمعاملة السيئة للأطفال، وهذه الظاهرة شائعة الحدوث خاصة في المنطقة العربية، حيث يتعرض من ٪15-10 من الذكور للمعاملة السيئة، و٪35-28 من الإناث علي اختلاف نوع ودرجة الإساءة التي يتعرضون لها وإن كان الإيذاء أكثر انتشارا في الأسر ذات العلاقات المتوترة بين الزوج والزوجة، موضحا أنه في دراسة عن العلاقة بين التعرض للإيذاء والإصابة بأمراض نفسية في مراحل العمر اللاحقة وجد ان ٪25 من هؤلاء الأطفال تأثر نموهم الإجتماعي والنفسي بتلك الإيذاءات، التي تعرضوا لها وكل حسب نوع وشدة هذا الإيذاء، وأن ٪75من المتعرضين لإيذاء يعانون من إضطرابات نفسية ونسبة الإضـرابـات الاكتئابية فيها وصلت ٪35 منهم ٪43 ذكـور و36 ٪ إناث.

ويخلص د. حـمـودة إلـي أنـه من الضروري أن يقوم الإعلام بالتأكيد علي الآثار السلبية للمعاملة السيئة، التي يعامل بها الأطـفـال، بـل من الضروري أن يضع المشرعون قواعد قانونية للقضاء علي هذا الإساءات، التي يتعرض لـه الأطـفـال وتدمر بدورها حياتهم، إضافة إلي أهمية أن تعقد المؤتمرات والندوات للتعريف بمراحل النمو، التي يمر بها الطفل والاحتياجات التي يجب أن يشبعها خلال المراحل المختلفة إتقاءا لتعرض الأطفال لإحباطات تؤدي إلي إصابتهم بالاكتئاب الذي بات أمر واقع يجب ألا نهرب منه.

مع الأحداث

السيد يسين

البديل الإسلامي للحداثة الغربية!

الغالبية العظمى من التيارات الإسلامية المعاصرة - لا فرق بين المعتدلة منها والمتطرفة - ترفض الحداثة الغربية. وهي تعتبر أن أفكار الحداثة ليست سوى بدع غربية مستوردة إن آمن بها كلها أو ببعضها عدد من كبار مفكري النهضة العربية، فذلك لأنهم تجاهلوا تراثهم الإسلامي الخصب، وولوا وجوههم تجاه الغرب، مبهورين بإنجازاته التكنولوجية، وبتقدمه الحضاري في عديد من الميادين، وبنظامه السياسي الديموقراطي.

ومن ثم اندفع أنصار هذه الجماعات للدفاع عن التراث الإسلامي كما يفهمونه. وهم في هذا المجال يميلون إلى تقديس تاريخ «الدولة الإسلامية»، وينفون عنها تماما أنها قامت على القهر السياسي للنخبة وللجماهير على السواء. والشاهد على ذلك أن الشورى توقف إعمالها منذ تولي معاوية بن أبي سفيان الولاية، وأصبحت البيعة تؤخذ بعد ذلك بالسيف.

وبالإضافة إلى ذلك فأنصار هذه الجماعات الإسلامية لا يؤمنون بالعقل في الوقت الذي يقدسون فيه النقل! ولذلك تراهم ينقلون عن القدماء بغير تفكير، ويعتمدون - للأسف الشديد - على أحاديث نبوية موضوعة. وذلك لأن عديداً منها ينافي العقل وبعضها ينافي الذوق، وبعضها الآخر لا يستقيم مع سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

ولأن صناعتهم الأساسية هي النقل وليس العقل، تراهم يقدسون كتب الأحاديث الشهيرة وأبرزها «صحيح البخاري» وغيره، مع أن هذا الكتاب يحتوي على مئات الأحاديث الموضوعة. غير أنهم يقدسونه، ولا يقبلون أي نقد يوجه إلى بعض الأحاديث الواردة فيه.

وهم في مسعاهم للنقل من التراث القديم يعتمدون اعتماداً أساسياً على آليتين هما التأويل المنحرف والقياس الخاطئ!

أما التأويل المنحرف فاستخدم بكثرة لتدعيم حججهم السياسية في مختلف المجالات، من الخروج على الحاكم الظالم، أي بعبارة أخرى إضفاء شرعية دينية على الانقلابات السياسية، إلى إباحة قتل المسلمين كما تفعل الجماعات الإسلامية الإرهابية، استناداً إلى تأويلات منحرفة متعددة، أدت بهم إلى إضافة حقهم في استحلال أموال المسلمين وتخريب ممتلكاتهم، وكل ذلك يتم تحت راية الجهاد في سبيل الله!

أما القياس الخاطئ فقد استخدم بتوسع، لدرجة أن «الجماعة الإسلامية» المصرية، وهي جماعة إرهابية سبق لها أن مارست العنف وارتكبت جرائم القتل العمد ضد المسلمين والأجانب وخصوصاً السياح، تطبق في ذلك قياساً خاطئاً!

وورد في أحد كتب هذه الجماعة التي صدرت من باب التوبة عما فعلوا وممارسة النقد الذاتي، أنهم مارسوا قتل السياح الأجانب في مصر قياساً على ما كان يفعله الرسول (صلى الله عليه وسلم)، لأنه كان يستخدم آلة المنجنيق في قتال أعدائه! وهذه الآلة من آلات الحرب التي تتيح إلقاء الطوب على الأعداء فتشتتهم!

وتقول كتبهم إنه قياساً على ما كان يفعله الرسول الكريم ضد أعدائه، فإن استهدافهم للسياح الأجانب وقتلهم يصبح مسألة مقبولة شرعاً! والحقيقة أنه لا مجال هنا لهذا القياس الخاطئ، والذي يستند زوراً وبهتاناً إلى السلوك الحربي للرسول ضد أعداء الإسلام.

وكتب هذه الجماعة الإسلامية بالإضافة إلى مراجعة جماعة «الجهاد» المصرية، وهي جماعة إرهابية أخرى، زاخرة بالفكر الديني الركيك، يعكس الضعف الشديد في ثقافة «أمراء» هذه الجماعات، فما بالك بأنصارهم الذين ساروا في طريق الإرهاب وهم لا يعرفون في الواقع من الإسلام إلا اسمه؟!

غير أنه إذا كانت الجماعات الإسلامية في غالبيتها العظمى ترفض الحداثة الغربية نظرية وتطبيقاً، فإن بعض التيارات الإسلامية المتنورة لم يقنع بذلك، وإنما حاول أن يصوغ بديلاً إسلامياً للحداثة الغربية!

وهذا البديل يتسم بالشمول، لأنه يقوم على خمس دعائم أساسية وهي المعرفة، والهوية، وإنكار مفهوم الوطن والوطنية، والنظرية السياسية الإسلامية، ومذهب الحكم.

أما المعرفة فقد أسس بصددها مشروع مترامي الأطراف أشرف عليه طه جابر علواني، وهو عراقي أزهري، وأطلق على المشروع «أسلمة المعرفة». وأتيح لي أن أطلع على الوثيقة الرئيسية للمشروع التي صدرت قبل سنوات عدة وهي تقوم أساساً على فكرة محورية هي الاستحواذ على المعرفة الغربية في مجال العلوم الاجتماعية، وتلخيصها بواسطة عدد من العلماء الاجتماعيين الغربيين، ثم إعطاء هذه الملخصات إلى علماء اجتماعيين مسلمين لأسلمتها!

ومن الواضح تهافت الأساس المعرفي لهذا المشروع الوهمي، لأنه في مجال العلوم، طبيعية كانت أو اجتماعية، ليست هناك معرفة مسيحية وأخرى إسلامية وثالثة بوذية! ومن الأقوال التي تستحق التأمل بهذا الصدد أن المنهج لا جنسية له!

ومن ثم فبلورة منهج لدراسة ظاهرة البيروقراطية كما فعل عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر - على سبيل المثال - لا يمنع من تطبيقه في مصر أو في أحد البلدان العربية، رغم أن الظاهرة البيروقراطية ذاتها تتشكل وتتلون بحسب التاريخ الاجتماعي الفريد لكل بلد.

وحاول مشروع أسلمة المعرفة تحقيق أهدافه عن طريق تجنيد مئات من الأساتذة الإسلاميين والعرب، وعبر مشاريع علمية متعددة، ومؤتمرات كثيرة، إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافه. ويحمد لأصحاب هذا المشروع أنهم اعترفوا أكثر من مرة علانية بهذا الفشل.

والدعامة الثانية للبديل الإسلامي للحداثة الغربية هي صياغة ما يمكن أن نطلق عليه هوية متخيلة! Imagined identity وهذه الهوية الإسلامية المتخيلة يزعم المروجون لها أن المسلمين يعتنقونها في كل أنحاء الأرض أيا كانت أجناسهم أو أعراقهم! وذلك لسبب بسيط - في نظرهم - هو أن كل المسلمين في العالم ينتمون إلى الأمة الإسلامية الواحدة، وبغض النظر عن الاختلاف في أنظمتهم السياسية، أو الاختلافات الثقافية بينهم، أو تنوع الفهم للإسلام، حسب الأعراف والتقاليد السائدة!

ويرتبط بهذه الهوية المتخيلة إنكار مفهوم الوطن ونقد مشاعر الوطنية! فالوطن - أيا كان - لا قيمة له في ميزان الإسلام كما يزعمون، لأن الحدود بين الأوطان حدود مصطنعة وضعت تعسفاً للفصل بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة!.

والدعامة الرابعة لهذا البديل الإسلامي المزعوم هي فكرة الشورى الإسلامية التي تقدم بديلاً لنظرية الديموقراطية الغربية! يتم ذلك في تجاهل تام للحقائق التاريخية التي تتمثل في تعطيل الشورى عملاً طوال تاريخ الدولة الإسلامية منذ ولاية معاوية بن أبي سفيان❖

بالإضافة إلى أن الرفض الأعمى للديموقراطية الغربية يركز في الواقع على بعض سلبياتها، ويتجاهل جوانبها الإيجابية المتعددة.

وقد حاولت بعض الاتجاهات الإسلامية المعتدلة، في العقود الأخيرة، التخلي عن هذا الرفض القاطع للديموقراطية الغربية، ودعا بعضها مثل جماعة «الإخوان المسلمين» في مصر، إلى تشكيل أحزاب سياسية بمرجعية إسلامية!

والـواقـع أن هـذا البرنامج الـذي طرحته جماعة «الإخوان» في مصر أخيراً يخلط خلطاً متعمداً بين الدين والسياسة.

ووصل التطرف الديني إلى أقصى مداه، حين حددت جماعة «الإخوان المسلمين» المرجعية الإسلامية لحزبهم السياسي المقترح بضرورة تشكيل مجلس أعلى للفقهاء، تعرض عليه قرارات رئيس الجمهورية لإقرارها أو رفضها، وكذلك قرارات المجالس النيابية.

ومعنى ذلك بكل بساطة الدعوة إلى إقامة دولة دينية ضد التيار الديموقراطي العالمي السائد، وذلك بإعادة إنتاج مذهب «ولاية الفقيه» الشيعي، ولكن على الطريقة السنية هذه المرة!

عن / صحيفة "الحياة" اللندنية

بكل الاتجاهات

زيادة الحصص الزمنية للرياضيات والعلوم بالمدارس اليابانية

طوكيو /14أكتوبر/ رويترز:

قالت وكالة كيودو اليابانية للانباء انه بناء على خطوط رئيسية جديدة كشف النقاب عنها سيقضي تلاميذ المدارس اليابانيون وقتا اكبر في تحصيل المواد الاساسية مثل العلوم والرياضيات في مسعى لتعزيز مستويات التلاميذ الاكاديمية بعد شهور من تراجع البلاد في التصنيف العالمي للتعليم .

■ وزير التعليم الياباني كيسابورو توكاي

وتلغي التغييرات الجديدة المقرر تطبيقها تدريجيا اعتبارا من العام الدراسي المقبل اصلاحات بدأت في عـام 2000 بهدف تهيئة بيئة أكثر «استرخاء» للتلاميذ تساعد في تنمية قدراتهم الابداعية والحد من التعليم الذي يعتمد على الحفظ.

وأظهر مسح نشرته منظمة التعاون الاقـتـصـادي والتنمية فـي ديسمبر الماضي ان التلاميذ اليابانيين في عمر 15 عاما تراجعوا للترتيب السادس من الثاني بين 57 دولة في العلوم وإلى الترتيب العاشر في الرياضيات وإلى الخامس عشر من الرابع عشر في القراءة.

وقالت وكالة كيودو ان الاعلان الرسمي عن التوجيهات سيكون في مارس اذار المقبل بعد تخصيص فترة زمنية لسماع اراء الجماهير. وتدعم الارشادات ايضا « تعليم الاخلاق» ولكنها لم تجعلها مادة اساسية على عكس رغبة العديد من المحافظين.

وقال رئيس الوزراء الياباني ياسو فوكودا للصحفيين « العديد من الناس يقرون بضرورة تعليم الاخلاق. هناك طرق عديدة للقيام بذلك دون جعلها مادة اساسية.»

وتدعو التوجيهات الي دعم تعليم التقاليد والثقافة اليابانية بكل المواد وخاصة الادوات التقليدية اليابانية والفنون القتالية الاجبارية مثل الجودو والكندو بالمدارس الاعدادية.

وذكرت كيودو أن اللغات الاجنبية ستكون ايضا اجبارية في المدارس الابتدائية.

وسيتم زيـادة الحصة الزمنية المخصصة لدراسة الرياضيات والعلوم لكن المدارس ستظل بنظام الاسبوع الدراسي المؤلف من خمسة أيام دون العودة للدارسة في ايام السبت.

وأوضحت وكالة كيودو ان الحصة الزمنية المخصصة «للدراسات العامة» ستقل. وطبقت هـذه المادة لاعطاء فرصة للتلاميذ لاستكشاف اهتماماتهم الخاصة ولاعطاء المعلمين المزيد من الحرية في التدريس.

وقالت الوكالة ان مسؤولي وزارة التعليم استبعدوا ان تؤدي التعديلات الجديدة الى العودة الى «الحشو» التقليدي الذي حمله البعض مسؤولية قلة الابداع بين التلاميذ.

ولكن عدد الدروس المقررة بمناهج التعليم الابتدائي ارتفعت الى 131 من 78 حاليا باللغة اليابانية والـى 181 من 126 في الرياضيات.

وقال وزير التعليم الياباني كيسابورو توكاي انه يتوقع ان تساعد الارشادات الجديدة في تحسين جودة التعليم باليابان وأن تؤدي الى تحسين المستوى الاكاديمي ايضا.

الصين تعرب عن قلقها بشأن الخطة الأمريكية لإسقاط قمر صناعي

■ بوش أثناء مؤتمر صحفي في دار السلام بتنزانيا

بكين/14 اكتوبر/ رويترز:

- قالت وزارة الخارجية أمس الأحد إن الصين تشعر بالقلق بشأن خطط الولايات المتحدة لإسقاط قمر صناعي به عطل وإنها تبحث "الإجراءات الوقائية" التي يمكن أن تتخذها.

وقال المتحدث ليو جيانشاو "تراقب الحكومة الصينية تطورات الموقف عن كثب وتطالب الجانب الأمريكي بالوفاء بالتزاماته الدولية وتفادي إلحاق الضرر بالأمن في الفضاء الخارجي وبالدول الأخرى.»

وقال مسئولون أمريكيون يوم الخميس إن الرئيس جورج بوش قرر أن تقوم البحرية بإسقاط القمر الصناعي الذي يبلغ وزنه 2270 كيلوجراما بصاروخ تكتيكي معدل بعد أن حذر مستشارو الأمن من أن عودته إلى الأرض قد تؤدي إلى خسائر في الأرواح.

وقال ليو في بيان موجز نشر في موقع وزارة الخارجية على الانترنت " تراقب الإدارات المعنية بالموضوع في الصين الموقف عن كثب وتدرس الإجراءات الوقائية.»

وقالت وزارة الدفاع الروسية يوم السبت إن الخطة الأمريكية قد تستخدم غطاء لعملية اختبار سلاح فضائي جديد.

وستكون هذه أول مرة تقوم فيها الولايات المتحدة بعملية مضادة للأقمار الصناعية منذ الثمانينات. ولم تقم روسيا أيضا بأي أنشطة مضادة للأقمار الصناعية منذ 20 عاما.

وأطلقت الصين صاروخا من الأرض ليصيب قمرا صناعيا قديما للأرصاد الجوية في يناير كانون الثاني عام 2007 مما أدى غالى انتقادات دولية وقلق في وزارة الدفاع الأمريكية بشأن قدرة الصين على استهداف أقمار صناعية ذات أهمية عسكرية حيوية.

سعيد محمد سالمين

الطفولة صانعة المستقبل

عندما يكون علينا أن نختار بين أمرين أحدهما يتعلق بالطفولة والتربية فلا مجال للتردد لان علينا إن نختار الطفولة لأننا بذلك ننحاز إلى المستقبل في عالم "تخطيط المدن" استقر تماماً ذلك التعبير المشهور الذي يتداوله الناس "رئة المدينة" ويقصد به أن تخصص في المدن أماكن للهو والترفيه البريء بالإضافة إلى مساحات الخضرة لتكون كأنها متنفس لسكان هذه المدينة، بل يذهب الأمر في بعض البلدان المتقدمة إلى تحديد نسب محددة من مساحات المجمعات السكنية تخصص كملاعب صغيرة لأطفال المجمع.

إننا نهمل قضية الترويح واللهو في المدينة، وبذلك نقول أن هناك أيضاً حلقة تربوية مفقودة لأن الطفل لابد أن يمر بكل مراحل نموه وتطوره ويعيشها ويشبعها، إن الطفل لا ينمو من تلقاء نفسه وهو يتشكل ويتغير ويرتقي كشخصية سوية بقدر ماتوفر له في الوسط الإنساني الاجتماعي الذي يعيش فيه من عوامل التربية ومقوماتها .

ولعل أبرز المقومات التربوية في سنوات الطفولة هي الألعاب كنشاط مميز لحياة الأطفال .ونحن لانعط هذه المقومات وخاصة اللعب القدر الذي يستحقة في تربية الطفل . وتؤكد الدراسات الكثيرة والمتنوعة على أن اللعب هو مدخل وظيفي لفهم الطفولة ، ووسيط تربوي فعال لتشكيل شخصية الفرد في سنوات الطفولة .

وقد كتب الأستاذ عباس محمود العقاد ، في مجلة الرسالة منذ 44 سنة ، مقالاً عن أهمية اللعب بالنسبة للأطفال . وقال ضمن ماقاله: (إن اللعب يشحذ الخيال وينمي القدرة على الإبداع ، وشعوب لاتربي أطفالها على هذا ، هي شعوب محكوم عليها بالتخلف . وأن شعباً لايعرف كيف يلعب ويلهو هو شعب غير قادر على الإنتاج.)

دعونا نأمل جميعاً أن تحظى مدننا ومديرياتنا بساحات خضراء مزودة بالألعاب كي نصنع الغبطة والابتسامة لجيل نتمنى أن يكون أسعد حظاً منا ... ويحقق لنا ماعجزنا نحن عن تحقيقه من أمنيات وأحلام.